

-عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422-484هـ/1031-1091م)

بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس تبعها انقسام البلاد الى دويلات صغيرة متنازعة ، اذ أنفرد كل كيان منها على حدة ،واستقل كل أمير بناحيته وأعلن نفسه ملكا عليها ،وبذلك دخلت الاندلس في عصر جديد هو عصر ملوك الطوائف ، حيث حكم كل منها في الأغلب أسرة يتوارثها ابناؤها ولكل حاكم وزراؤه وقضاته وقادته ورجال مملكته ولكل مملكة عاصمة هي إحدى القواعد الاندلسية يتبعها عدد من المدن والقرى والحصون وتتغير حدود عدد منها بين مد وجزر ، بسبب نزاعها فيما بينها أو مع مالك إسبانيا المسيحية ، والضعيفة منها ، تحتويها أحيانا المملكة القوية وأهم هذه الممالك (الطوائف) هي :

1. مملكة أشبيلية : تقع غرب الاندلس وحكمها بنو عباد.
2. مملكة غرناطة : تقع جنوب الاندلس وحكمها بنو زييري.
3. مملكة سرقسطة : تقع في الثغر الاعلى وحكمها بنو هود.
4. إمارة قرطبة : تقع وسط الاندلس وحكمها بنو جهور.
5. مملكة طليطلة : تقع في الثغور الاوسط وحكمها بنو ذي النون.
6. مملكة بطليوس : تقع في غرب الاندلس وحكمها بنو الافطس.
7. مملكة بلنسية : تقع في شرق الاندلس وحكمها الصقالية.
8. مملكة دانية وجزر البليار : تقع في شرق الاندلس في البحر المتوسط حكمها مجاهد العامري.

ويعتذر عرض جميع هذه الممالك والامارات - وعددها أكثر من عشرين(20) مملكة ،ولكن يمكن تقسيم هذه الكيانات او الدويلات على ثلاثة اقسام او احزاب رئيسة هي :

1-الحزب الاول (أهل الجماعة) : وهو حزب أهل الاندلس الأصليين ، أي أهل البلاد الذين استقروا بها منذ فترة طويلة وانصهروا في البوتقه الاسبانية بمرور الزمن وصاروا أندلسيين بصرف النظر عن أصولهم سواء كانت عربية أو بربرية أو صقلبية أو من الاسبان المسيحيين .

2-الحزب الثاني (الطارئون) : وهم حديثو العهد بالاندلس من الذين جاءوا الى الاندلس مثل بني زييري الصنهاجيين في غرناطة وبني حمود الأدارسة في مالقة والجزيرة الخضراء وهم الذين نازعوا الأمويين على الخلافة بقرطبة.

3- الحزب الثالث (الصقالية) : وهم الذين قدموا الى الاندلس كماليك وخدموا أمراء بني أمية ، ثم الفوا فئة خاصة مستفيدين من قربهم من الحكام سواء الامويين او بني عامر (الدولة العامرية) أيام تسللهم الى الحكم.

وبينما كانت الاندلس تعاني من هذا الوضع المزري كان النصارى الاسبان في الشمال -بالمقابل- يعملون على توحيد قواتهم بمساندة فرنسا والبابوية للانقضاض على العرب المسلمين وطردهم من الاندلس.

لجأ أغلب ملوك عصر الطوائف الى ملوك النصرانية في الشمال الاسباني للاحتماء بهم أو طلب العون والدعم العسكري من أجل المحافظة على كرسي الحكم مقابل دفع مبالغ من أموال المسلمين أو منحهم امتيازات وحقوق وأراضي وممتلكات عامة ، وحمل بعضهم الهدايا الى حكام الممالك الاسبانية تملقا وإرضاءاً لهم.

تمكن الفرنسيو السادس من توحيد مملكته تحت سيطرته وكان طموحاً مفعماً بالروح الصليبية ، فما أن فرغ من حرب الوراثة حتى بدأ هجومه الكبير على الاندلس وكانت خطته التي وضعها لتحقيق هدفه تقوم على ثلاث دعائم رئيسية وهي :

1. اذكاء نار الفتنة بين ملوك الطوائف لتبقى مشتعلة بأستمرار ومساعدة كل منهم

في نزاعه مع الآخرين فربطهم كلهم بعجلته حتى كانوا يتسابقون في التقرب إليه .

2. ابتزاز أموالهم مقابل تلك المساعدات التي كان يقدمها إليهم فضلاً عن الجزية

السنوية التي كانوا يدفعونها إليها إثناء لشره بحسب اعتقادهم ، وهو بذلك يضعفهم

اقتصادياً في حين أنه بهذه الأموال يعمل على تدعيم قوته .

3. تخريب أراضي كل من يحاول الخروج عن طاعته وذلك بالغايات التخريبية

السريعة التي تخرب الزروع وتنهب المحاصيل وأقوات الرعية لاضعاف السكان

عن الصمود واجبارهم على الهجرة منها الى أماكن أكثر أمناً ، فتخلوا تلك

الاراضي والمواضع له حيث كان يقوم بعد ذلك بالاستيلاء على حصونها ومدنها

وقراها الواحدة تلو الاخرى.

كانت إمارة طليطلة هي هدفه الاول فبدأ بمهاجمتها واحتلالها سنة 478هـ /1085م ، على

الرغم من أن المعتمد بن عباد كان يؤدي له الجزية كغيره من ملوك الطوائف ، ولما كان

المعتمد بن عباد يدرك انه لا يستطيع الصمود في وجه الفرنسيو السادس ، لذلك اتجه

ليوسف بن تاشفين أمير المرابطين في المغرب واستتجد به لانقاذ الاندلس وكان المعتمد يدرك أن ملكه يضيع سواء لفونسو او ليوسف بن تاشفين مفضلا تسليم مملكته للمسلمين على ان يأخذها النصارى.

فسارع هؤلاء بالعبور الى الاندلس بقيادة زعيمهم يوسف بن تاشفين في منتصف ربيع الاول سنة 479هـ، وحين علم الملك الفونسو السادس بذلك رفع الحصار عن سرقسطة ، واسرع لمواجهة جيوش المسلمين ، وتم اللقاء في الشمال في بطليموس عند الزلاقة في 12 رجب سنة 479هـ واحرز المسلمون في هذه المعركة انتصارا كبيرا على جيوش الفونسو الذي فر من المعركة جريحا ، وولي من بقي من عساكره منهزمين بعد أن قتل معظمهم .

وقد أدى هذا الانتصار الى تثبيت أقدام المرابطين في الاندلس فقصوا على ملوك الطوائف ووحدا الاندلس . ثم ما لبثوا ان خرجوا عن البلاد ،التي عادت الى ما كانت عليه من الفرقة والتمزق. فوجه الموحدون جيوشهم الى الاندلس ، وكانوا قد ورثوا المرابطين في المغرب ، وتمكن الموحدون من تحقيق النصر على الاسبان في موقعة الارك سنة 591هـ /1195م ، غير انهم ما لبثوا ان هزموا في موقعة العقاب سنة 609هـ /1212م . التي حشد لها الاسبان الجيوش من فرنسا والمانيا وانكلترا وإيطاليا ، واضطر الموحدون الى الرحيل عن الاندلس بعد ان انحسر نفوذ العرب المسلمين في مقاطعة غرناطة التي استمرت تصارع الزحف الاسباني الاوربي من سنة 630هـ الى 897هـ 1492م حيث سقطت في هذه السنة . وانتهى بذلك آخر مظهر من مظاهر الحكم العربي الاسلامي في بلاد الاندلس الذي استمر ثمانية قرون.

وعلى الرغم مما ذكر عن عصر الطوائف من تمزق سياسي وحروب دامية الا أنه ظهرت جوانب ايجابية فيه منها :

1. ازدهار النهضة الفكرية والادبية وتنافس أمراء الطوائف على كسب ود الشعراء والادباء والعلماء والفقهاء حتى غدت بعض قصورهم منتديات أدبية وعملية ومن أبرز ظواهر هذا العصر أن يكون معظم الملوك والرؤساء من أكابر الأدباء والشعراء.
2. الدعوة الى توحيد الاندلس وجمع كلمة ملوكها : اذ قام بها عدد من العلماء ،فضلا عن الشعراء والامراء .

3. ايقظت الاوضاع العامة أهل الاندلس من سباتهم وذلك عما أصاب بلدهم من انقسام وتمزق سياسي وتجمعوا كمتطوعين مع المرابطين من العودة المغربية بعد عبورهم الى الاندلس في حركة الجهاد للدفاع عن الدين والارض كما أزهت نظام الفروسية وتطورت نظم القتال والاسلحة.

4. ازدهار الحركة العمرانية في بناء القصور والقلاع والحصون الدفاعية في مدن الاندلس التي لا تزال اطلالها شامخة في اسبانيا كما في المريه ودانية من الحصون والقلاع والقصبات وغيرها.